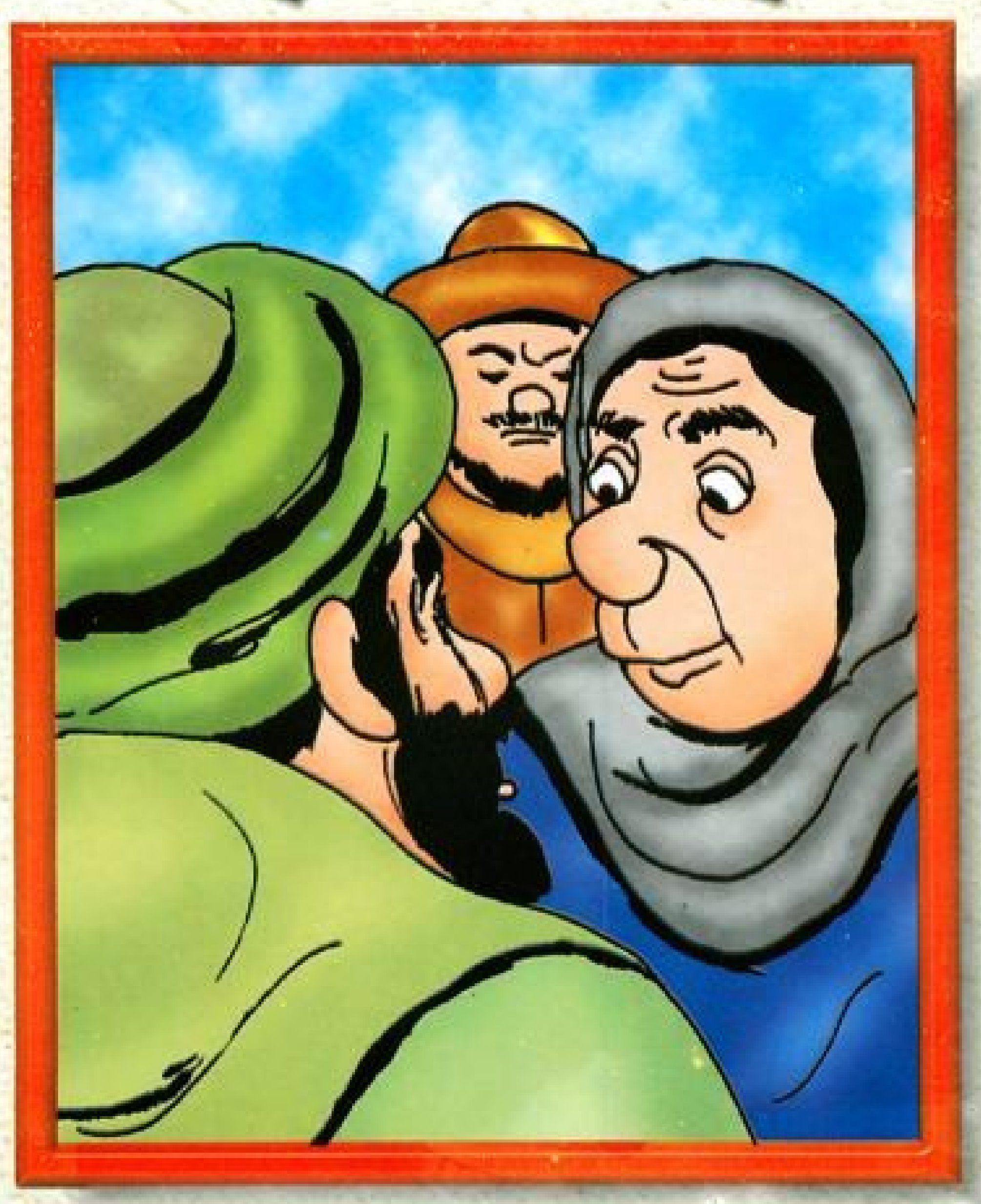
من أسماء الله الحسنى
المقسط

المرأة المظلومة



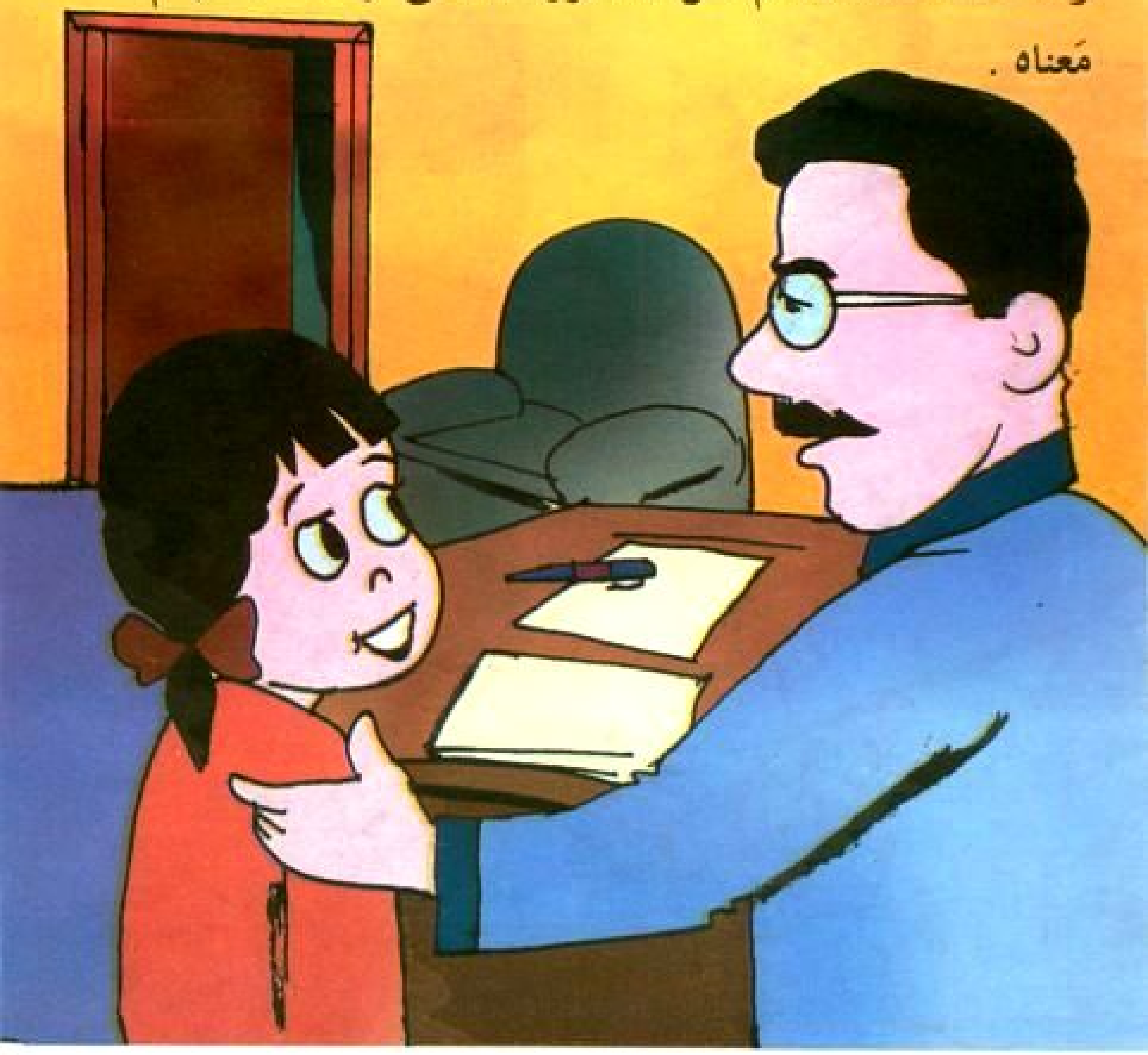
مادة ورسوم
شوقي حسن

الناشر
مكتبة مصر
شارع كامل صدقي - الفجالة

(١) دَخلتْ حنانُ حُجرةَ والِدِها بعد أن طرقتِ البابَ وأعطاها الإذنَ بالدُّخول . فوجَدتْه يَجلس إلى مكتبِه ، يُراجعَ بعضَ أوراقِه ، فقالت : أراكَ يا والِدى مَشغولا ، فسأعودُ إليكَ بعدَ قليل . . قالَ لَها مُبتَسِما ، وهو يَتْرُكُ أوْراقَهُ من يَدِه : تقدَّمى يا حَنان ، لقد فَرَغتُ مِمّا يَشغلُنى .



(٢) قالَت وهى تُقدِّمُ إليه قُصاصَةً من الوَرَق : أرجو يا والِدى أنْ تَشرحَ لى هذا الاسْم . . فنَظرَ إلَى الوَرَقةِ وقالَ : هذا اسمُ المُقسِط ، وهو من أَسماءِ اللَّهِ الحُسنَى . . ولكِنْ ما الحِكايَةُ يا ابنَتى ؟ فابْتَسمتْ حنانُ وقالتْ : كان درسُ اليَوم فى حصَّةِ التَّربيَةِ الدِّينيَّة ، عن أسْماءِ اللَّهِ الحُسنَى ، وقد نَقَلْتُ هذا الاسْمَ من السَّبّورَة ، لأنّى أردتُ أن أفهَمَ مَعناه .



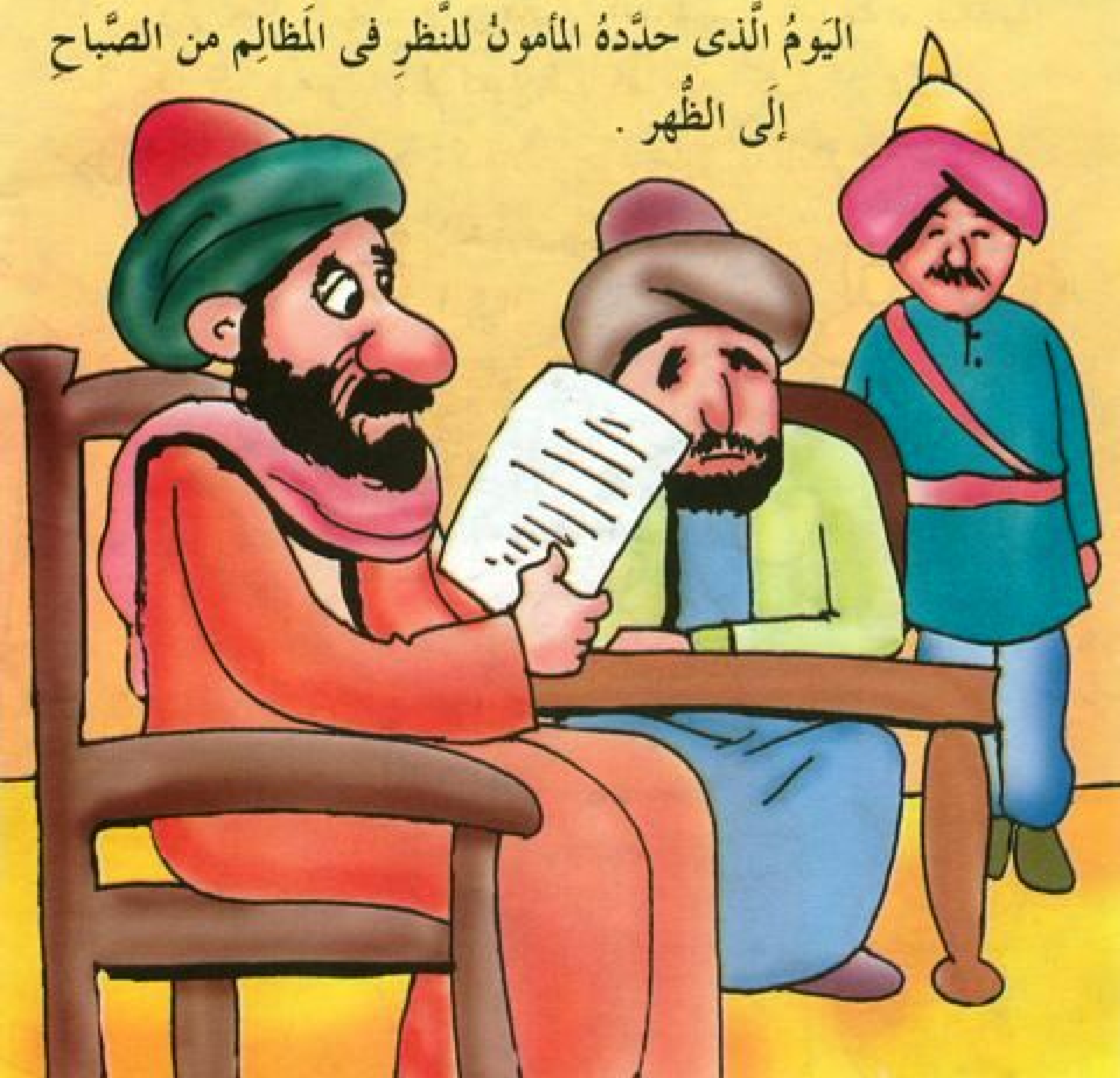
(٣) قالَ والِدُهـا : اجْلِسـي يـا حَنـان . أنـا أُشَجِّعُكِ لِحُبِّـكِ الفَهـمَ والعِلـم ، والسَّعيَ لِلمَعرفَـة . . واسـمُ الـمُقسِط مَعْنـاهُ العـادِل . وعدلُ اللّهِ سُبحانَه وتَعالَى فوقَ كُلِّ عَدْل ، فمن أسْماء الـمُقسِط ، أنَّ اللّهَ سُبحانَهُ وتعالَى الَّذى خلقَ خَلقَهُ جَميعا ، يَعـدلُ بـيَنَ خلقِـهِ جَميعا . وهو الوَكيلُ عن كُلِّ خَلقِه ، حتّى إذا ظلمَ إنسانٌ إنسـانا ، دخلَ فى خُصومَةٍ مع اللّه ـ سُبحانَه وتَعالى ـ فانتَقمَ مِنه .



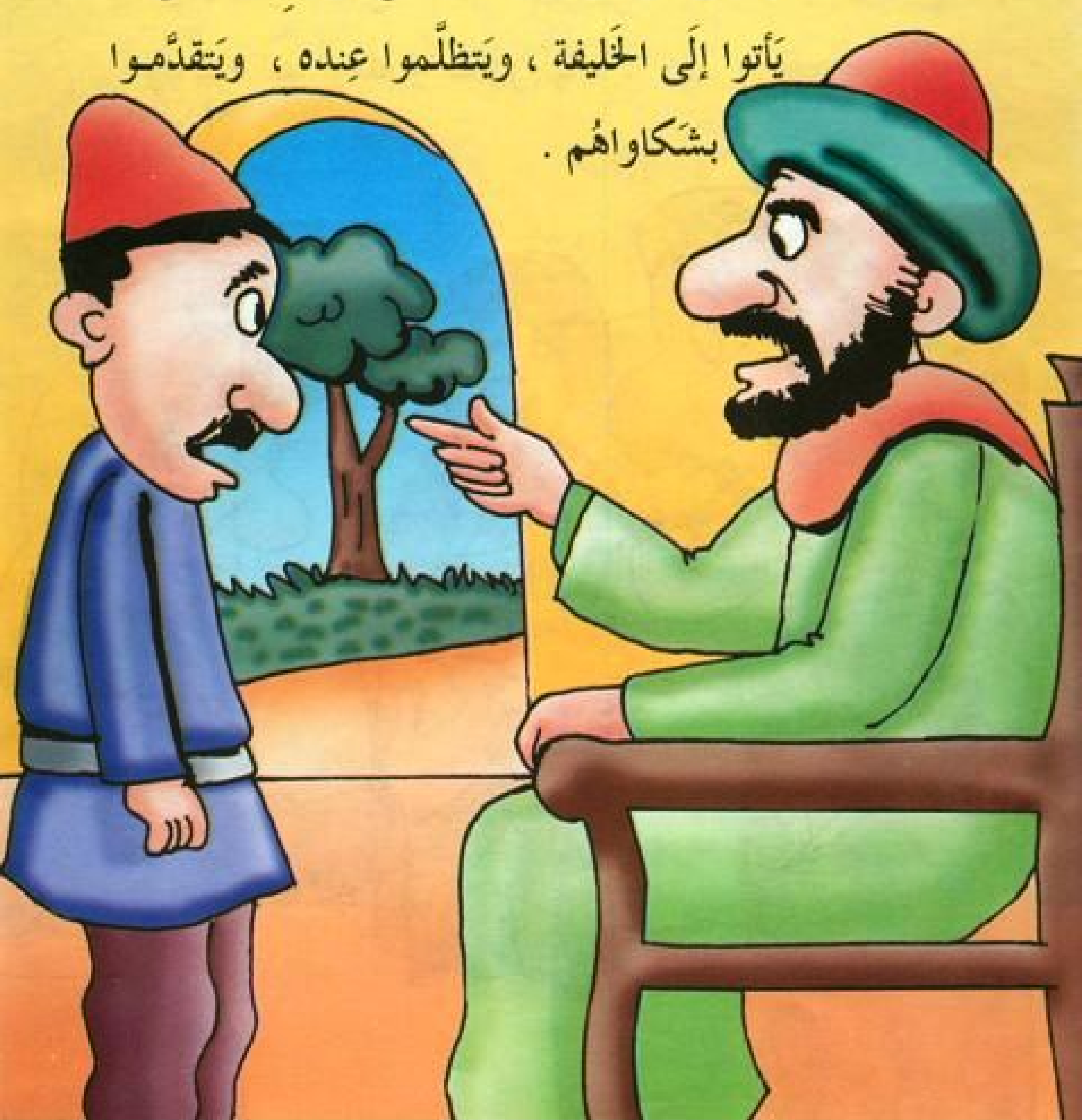
(٤) وإذا سَرقَ إنْسانٌ مالَ إنْسانَ آخر ، دخلَ فى خُصومَةٍ مع اللّه ، فعاقَبه اللّه . . إن اللّهَ - سُبحانَه وتَعالَى - يُعطى كلَّ ذى حقٍّ حقَّه . ومن مَعانى اسْمِ المُقسِط ، أنَّ اللّهَ يُريدُ لِلحقِّ أن يَنتَصِر ، ولِلباطِلِ أن يَنهزِم ، لأنَّه - جَلَّ جَلالُهُ - هو الحقّ . ولذلِكَ ما من مَعركَةٍ بينَ الحقِّ والباطِل ، إلاّ هُزِم فيها الباطِلُ ولو بعدَ حين . ومن مَعانى المُقسِط كذلك ، أنه جعلَ لكلِّ شيء ميزانا ، لا تَميلُ فيه كِفَّةٌ عن كِفَة . . فكما جعلَ البائعَ يَتقاضَى الثمنَ كامِلا ، حرَّمِ عَليه أن يأخُذَ من حقِّ المُشتَرى شيئا ، بأن يُنقِصَ المِكيالَ والميزان .



(٥) وطلبَ مِنّا ـ سُبحانَهُ وتَعالَى ـ أن نَعدِلَ فى كلِّ شَـىء ، فلا يُحابى إنسانٌ إنْسانا ، حتّى ولو كانَ أقـربَ النّاسِ إلَيـه . فالعَدلُ أقربُ للتّقوَى . حَدثَ يومـا أن كـانَ الخَليفَـةُ المَأمونُ يَجلِس ـ كعادَةِ الخُلفاءِ العادِلين ـ للنّظر فى مَظالِمِ النّـاس ، وإنْصافِ المظلومين . . وكان يومُ الجُمُعةِ من كلِّ أُسبوع ، هو اليَومُ الّذى حدَّدهُ المأمونُ للنّظرِ فى المَظالِم من الصّباحِ إلَى الظُّهر .



(٦) وقد عرفَ النّاسُ ذلك فكانَ الّذى يَقعُ عليه ظُلم ، ولا يَستَطيعُ أن يأخُذَ حقّه ، مِثلَ المُواطنِ الّذى يَظلِمُه مُوظَّفُ الحُكومَة ، أو الفَقيرِ الّذى يَسلُبُه الغَنِيُّ مالَه ، أو الضَّعيفِ الّذى يَعتَدى عليه من هو أقْوَى مِنه . . كلُّ هَؤلاءِ يُمكنُ أن يَأتوا إلَى الخَليفة ، ويَتظلّموا عِنده ، ويَتقدّموا بشَكاواهُم .



(٧) وفى يومٍ جلسَ المأمونُ للنّظرِ فى المظالِمِ ، منَ الصّباحِ الباكِرِ حتّى إذا سَمِعَ أذانُ الظُّهرِ ، نهضَ للصّلاة ، وتوجّهَ نحوَ المَسجدِ . فلَقِيَتهُ امرأةٌ فى ثِيابٍ قديمةٍ رَثّة ، وقالتْ أبياتًا من الشّعرِ ، تمدحُ الخَليفةَ ، وحبَّهُ للعدلِ ، وكَراهِيَته لِلظُّلمِ ، وتُخبِرُه أنّها أرمَلةٌ ماتَ زَوجُها . .



(٨) وأنَّها ضَعيفَةٌ بعدَ أن ماتَ أبْناؤُها ، وفقيرةٌ لم تَعد تَملِكُ إلاّ ضَيعَة ، وقد استَولَى رَجلٌ قَوِيٌّ علَى هذه الضَّيعَة ، ولم تَستَطِع مُقاوَمَتَه ، فأصبَحتْ بلا مَوردٍ ولا نَصير .



(٩) فأطرقَ المأمونُ قليلا ، ثمَّ رفعَ رأسَه وردَّ على شعرِها بمثلِه . وأخبرَها أنه تأثَّرَ بكلامِها ، ولكنَّه ذاهبٌ إلى صلاةِ الظُّهر ، بعدَ يومٍ شاقٍ حافلٍ بالمَتاعِب ، ووَعدَها أن يَنظرَ في مَظلَمتِها في الجَلسةِ القادِمَة . وسألَها أن تُحضرَ معها خصمَها ، وسوفَ يُنصِفُها بإذن الله ، إن كانَت صاحِبَةَ حقٍّ ، وكانَ الحقُّ في جانبِها .



(١٠) فانصرَفتِ المَرأةَ ، ثــمَّ حَضـرت فى اليَـومِ المَوْعـود .
وحضرَ الخليفةُ المأمون ، وجلسَ للنَّظـرِ فى مَظـالِمِ النَّـاس ،
وحَولَهُ كبارُ رِجالِ الدَّولة ، وعُلماؤها ، وقاضى القُضاة .
فلمَّا رأى الخليفةُ المأمونُ المرأةَ استَدعاها .



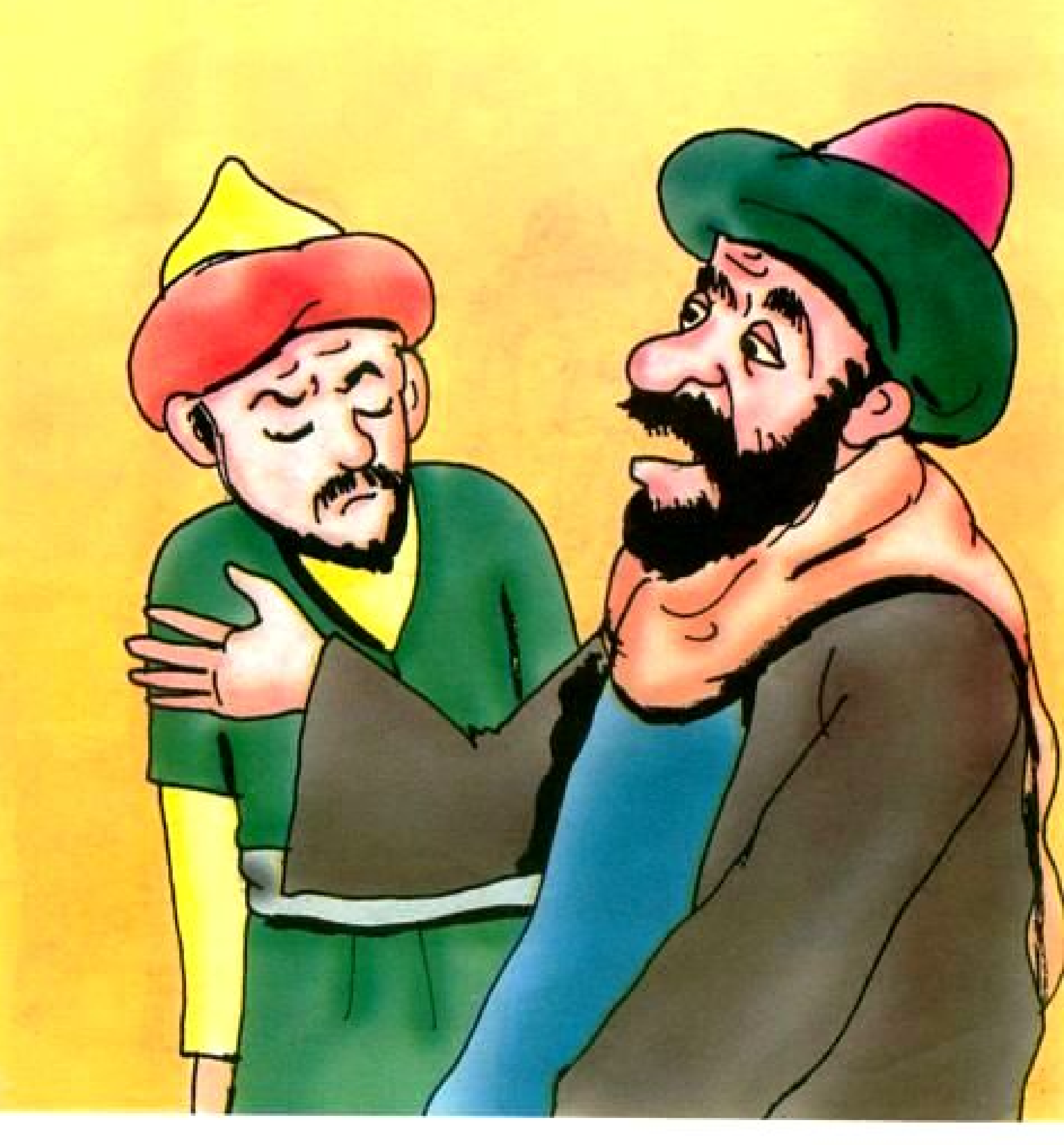
(١١) وسألَها : منْ خَصمُك ؟ أجابتْ : هو الواقِفُ بجانِبك ، العبّاسُ ابنُك . . ابنُ أميرِ المؤمنين . فنظرَ الخَليفةُ المأمونُ إلى ابنِه العبّاس ، ثم التفتَ إلى المرأة . وبعدَ لحظاتٍ من الصّمت ، التفتَ الخَليفةُ إلى قاضِى القُضاة ، وكلّفهُ بالنّظر فى هذه القَضِيّة ، لأنّ أحدَ طرفَيْها ابنهُ العبّاس ، ولا يَصِحُّ أن ينظُرَ هو فيها .



(١٢) فنادَى القاضى علَى المرأة ، ونادى على العَبّاس ابنِ أميرِ المُؤمِنين ، وأجلَسَهما أمامَه . وذلك فى حَضرَةِ أميرِ المُؤمِنين . . وأخذَ صَوتُها يَعلو وتَصيحُ فى وجهِ العَبّاس ، وهو ساكِتٌ لا يَتكلّم .



(١٣) فتوجَّهَ أحدُ الحُجّابِ إلى المرْأةِ وزجَرَها ، ونبَّهَها إلى أنَّها في حَضرَةِ الخَليفَةِ المأمون . . فناداهُ المأمون ، ونَهاه عن ذَلك ، وقالَ له : دَعْها فإنَّ الحقَّ أنطقَها ، والباطِلَ أخرَسَه .



(١٤) ثمَّ أمَر بضَيعتِها فرُدَّت إليهـا . . فعـادتْ وهِـى تُثنـى علىَ عَدلِ المأمونِ وإنْصافِه . ومـا قـامَ بـه الخَليفـةُ المأمونُ يا ابْنتى هو تَنفيذٌ لأمْرِ اللَّهِ ـ سُبْحانَه وتعالى ـ فإن خالَفَه الخليفةُ المأمونُ أو حابَى ابنَه ، كانَ من الظَّالِمين . . .



(١٥) وهكذا أكونُ قد شرحتُ لكِ يا ابْنتى اسمَ المُقسِط ، قدرَ استطاعَتى ، وأعطيتُ لكِ مثلاً حسناً لحاكمٍ يخافُ اللّه ، ويَعدِلُ بينَ النّاس . نهضتْ حنانُ من مقعدِها ، وألقتْ بنفسِها على صدرِ أبيها فى سرور ، فضمّها إليه وقال : لا مانع عندى أن تسألى عنَ أسْماءِ اللّهِ كما تشائين ، وسوفَ أُجيبُك بإذْنِ اللّه .

